

البداية والنهاية

ثم ودعها وسار فمرضت الجارية في غيبته هذه ومات المأمون أيضا في غيبته هذه فلما جاء نعيه إليها تنفست الصداع وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السياق ... إن الزمان ساقنا من مرارته ... بعد الحلاوة كاسات فأروانا ... أبدى لنا تارة منه فأناشكنا ... ثم انتهى تارة أخرى فأبكانا ... إنا إلى الله فيما لا يزال بنا ... من القضاء ومن تلوين دنيانا ... دنيا تراها ترينا من تصرفها ... ما لا يدوم مسافة وأحزانا ... ونحن فيها كأننا لا يزالينا ... للعيش أحيا وما يكون موتنا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانيني عشرة وما ترين وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرها وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولد العهد من بعده ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء لثمانين بقيت من هذه السنة وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فحمل إليها فدفن بها وقيل إنه نقل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فما أعلم وقد قال أبو سعيد المخزومي ... هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون ... شيئاً أو ملكه المأمور ... خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفوا أباه بطروس

... .

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وكتب وصيته بحضوره وبحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتاب وفيها القول بخلق القرآن ولم يتبع من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتبع منه وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلى عليه خمساً وأوصى المعتصم بتقوى الله والرفق بالرعية وأوصاه بعد الله بن طاهر وأحمد بن أبي داود وقال شاوره في أمورك ولا تفارقها وإياك ويحيى بن أكثم أن تصحبه ثم نهاه عنه وذمه وقال خاتمي ونفر الناس عن ففارقته غير راض عنه ثم أوصاه بالعلويين خيراً أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة .

وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها كثيرة لم يذكرها ابن عساكر مع كثرة ما يورده وفوق كل ذي علم عليم .

خلافة المعتصم بما أوصى ابن إسحاق بن هارون .

بويغ له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة